

تدني مستوى اللغة العربية عند طلبة هذا التخصص في الجامعة الجزائرية،
الأسباب والحلول.

الأستاذة: دليلة لخضاري.

جامعة البليدة 2 علي لونيبي

الملخص :

سنحاول في هذه الورقة البحثية الكشف عن الأسباب الكامنة وراء تراجع مستوى الطلبة المتخصصين في اللغة والأدب العربي في الجامعة الجزائرية، باعتبارهم أولى بالتمكّن من اللغة وإتقانها نطقا وكتابة وإلقاء، في ظلّ ما يكشفه الواقع من وجود انتهاكات وتجاوزات طالت كافّة مستويات اللغة؛ الصّوتية والصّرفية والنحوية والدلالية لدى هذه الفئة، كما تطرّقنا فيه إلى وجود فجوة عند بعض المتخصصين بين ما يملكونه من معارف نظرية وبين القدرة على إيصال تلك المعارف إلى المتلقّين ومتطلّبات علاجها، لنخلص في الأخير إلى اقتراح بعض الحلول الممكنة من أجل تدارك هذا الوضع الذي آلت إليه اللغة العربية.

الكلمات المفتاحية: اللغة العربية؛ الكفاءة؛ اللّهمجة؛ الالتزام اللّغوي.

Abstract :

In this paper we will attempt to uncover the reasons behind the decline in the level of students specializing in Arabic language and literature at the Algerian University, as they are the first to be proficient in the language and proficiency in writing, speaking and dumping, In light of what is revealed by the reality of the existence of violations and abuses of all levels of the language of Phonetic, morphology, grammatical and semantic in this category, we also discussed the existence of a gap among some specialists between the theoretical knowledge they possess and the ability to deliver that knowledge to the recipients and the treatment requirements.

Finally, we would like to propose some possible solutions in order to remedy this situation, which has become the language of the Arabic language.

Keywords: Arabic language; proficiency; dialect; linguistic commitment.

مقدمة:

اللغة هي ترجمان الفكر، وما يدور في الخلد من أفكار، وما يختلج في الصدر من أحاسيس مختلفة فتترجمها لأصوات وكلمات معبّرة، وهي أرق أدوات التواصل بين البشر على مرّ العصور، وتعتبر اللغة العربية من اللغات السامية التي لها مكانتها الخاصة بين لغات العالم، ويكفها فخرا وعزة أن خصّها الله تعالى لتكون لغة الإعجاز في كتابه الكريم، فهي تتميز بخصائص اشتقاقية فريدة ومفردات واسعة غزيرة لا حدود لها؛ إذ نستطيع من جذر الكلمة الواحدة أن نستخرج العديد من المشتقات، ولها أسس نحوية وصرفية تختلف عن باقي اللغات، وهي لغة المجاز والإيجاز، هذه اللغة المعجزة استطاعت أن توحد جميع اللهجات العربية بغضّ النظر عن صعوبة هذه اللهجات، ومدى اختلافها عن بعضها، ولهذا تعتبر اللغة الرسمية الأولى التي يتمّ تدريسها والتدريس بها في جميع البلدان العربية.

ومعروف أنّ العرب القدامى كانوا يتكلمون العربية بالسليقة، ومع مرور الزمن واختلاط العرب بالعجم نتيجة توسّع الرقعة الإسلامية، بدأت ظاهرة اللحن بالظهور والتفسي بين أوساط العرب ما دفع العلماء للتصدي لهذه الظاهرة الخطيرة؛ وتميّزوا بحبهم الصادق للغة العربية، وغيرتهم عليها، وخوفهم من أن تصيبها شائبة، وصرامتهم في التصدي لكافة أشكال اللحن ومحاربته دون كلل أو ملل، والدليل على ذلك التراث الزاخر من أمّهات الكتب التي وصلت إلينا، ومع تقلص رقعة الفصاحة زادت الحاجة إلى الكتب التعليمية التي تبسط وتفسر الكتب السابقة بعد أن استغلقت على المتعلمين مفاهيمها؛ فألفت الشروح والمختصرات والحواشي وغيرها.

وبمرور الزّمن طغت اللهجات المختلفة في التّواصل اليومي بين أفراد المجتمع، وأصبحت اللّغة العربية الفصحى محدودة التّداول كاستعمالها في المدارس والمساجد ومعاهد اللّغة في الجامعات...، وعلى الرّغم من توافر العديد من الكتب الّتي تركها العلماء القدامى، والكتب المؤلّفة من طرف الأكاديميين من أجل تعليم اللّغة والتهوؤ بها، إلّا أنّ تعليمها ما زال يعاني صعوبات ومشاكل حالت دون الوصول إلى النتائج المرجوة، وتأزّم الوضع واتّخذ منحى خطيرا لما وصل الأمر إلى عقر دار المتخصّصين فيها، في معاهد اللّغة والأدب بالجامعات الّتي نخرتها العاميّة واستولت على ألسنة القائمين بشؤونها.

هذا الانجراف الكبير نحو العاميّة لدى المتخصّصين يدفعنا إلى طرح جملة من التساؤلات الّتي تمسّ صميم المعضلة، فما هي الأسباب الّتي أدت إلى ضعف وتدني المستوى اللّغوي لدى المتخصّصين باللّغة وتعويضها بالعاميّة؟ وماهي العوامل الخارجيّة الّتي ساهمت في تعميق الهوّة؟ ولماذا أصبحت الفجوة ظاهرة بين المعرفة النّظرية والأداء وكيف يتمّ تقليصها؟ وماهي الحلول المقترحة؟

هذه التساؤلات وأخرى تجعلنا أمام مسؤولية عظمى أمام هذا الدّاء العظال الّذي بلغ مراحلهِ الأخيرة من التّفشّي؛ إذ أصبحت اللّغة العربية تعاني وهناً خطيرا، وتقهرقا عظيما، وأضحّت غريبة بين أهلها، وطغت عليها اللهجات العامية المشبعة بالكلمات الأجنبية النّاتجة عن آثار المخلّفات الاستعمارية، فلا بد من دقّ ناقوس الخطر، ومحاولة إيجاد حلول ناجعة عن طريق تكاتف الجهود بين الجميع بدءا من الأسرة إلى المدرسة بأطوارها، إلى الجامعة باعتبارها آخر مرحلة من التّكوين المتخصّص، وقبل البحث عن أيّ حلول لا بدّ من معرفة الأسباب.

1-أسباب وعوامل ضعف المستوى اللّغوي لدى طلبة اللّغة والأدب العربي:

قبل الحديث عن عزوف المتخصّصين عن استعمال اللّغة العربية في الحياة الجامعية، والفجوة الحاصلة بين ما يحتويه فكرهم من معارف وقدرات لغوية وبين

الواقع الذي يعجزون فيه عن إيصال وترجمة أفكارهم بواسطة اللغة، لابد من الرجوع بهم إلى بداية النشأة، ومن ثم بقيّة المراحل التعليمية التي مروا بها كمتلقين دون إهمال المدرّسين الذين ساهموا في تكوينهم، وكذا البرامج المقترحة لمختلف الأطوار وصولاً إلى مرحلة الحصول على البكالوريا واختيار التخصص عن رغبة أو الإرغام على دراسته لعدم وجود خيار آخر، ولكون تخصص اللغة والأدب من التخصصات القليلة التي لا يشترط فيها معدّلاً معيناً للالتحاق به، فيوجّه له كلّ من لم يسعفه المعدّل في افتكاك مقعد في التخصصات الأخرى.

فهذا الطالب الجامعي المتخصّص في اللغة والأدب العربي قد نشأ في أسرة شأنه شأن الجميع، والأسرة الجزائرية لغتها المستعملة في التواصل هي العامية، أو اللهجة المحليّة وهي ما يسمى باللغة الأم؛ أي الطّفل في بداية نشأته أوّل عملية تواصلية له تكون باللهجة العامية، وهذه الأخيرة قد تختلف اختلافاً كبيراً عمّا سيجده في المدرسة، فيكون أوّل اصطدام له، وهنا يكمن دور الأسرة والمعلّمين في تهيئة أبنائها نفسياً، وتحضيرهم وتشجيعهم ومساندتهم وتوعيتهم بأنّ اللغة التي سيتلقونها في المدرسة تختلف عن لغة الحديث اليومي، وتنبيههم إلى ضرورة استعمال اللغة العربية في الأقسام منذ الصّغر وتعويدهم عليها، وهنا لابد من الإشارة إلى أهمّ الأسباب الكامنة وراء ضعف اللغة العربية لدى المتخصّصين وهي إهمال المبادئ الآتية وهي مبدأ القيمة، ومبدأ الالتزام، وكذا القدوة.

■ أما القيمة: فقد عبّر رمضان عبد التّوّاب عن معناها بقوله " فإنّ القيمة الحقيقية لما في العملة من ورق أو معدن، تعدّ شيئاً تافهاً بالنسبة لقواتها الشرائية، فالصّكوك والعملة الورقية، لا تساوي في حدّ ذاتها، أكثر من قيمة الورق الذي طبعت عليه، وللدّهب والفضّة قيمة محدودة لأغراض الزينة، ولكنهما من الناحية العملية أقلّ قيمة من المعادن الأخرى، التي تفوقها في الصّلابة وقوّة الاحتمال،

فحقيقة الأمر أنّ القيمة الحقيقية للنّقد، هي صفة يضيفها عليها المجتمع الذي يتعامل بها وكذلك اللّغة، فإن قيمتها في تمسّك أهلها بها، ورواجها¹.

■

ومن هذا المنطلق إذا استطاعت الأسرة والمدرسة إيصال فكرة القيمة لدى الطّفل فسيكون بناؤه اللّغوي صحيحا، ونحن كمتتبّعين للواقع نلاحظ أفكارا مسمومة تزرع في أذهان المتعلّمين من طرف الأهل، والأقارب، والمجتمع ككلّ نجني آثارها الآن، مفادها أن لا قيمة للعربية!! ماذا سنفعل بها في المستقبل في الحياة العملية والمهنية؟ فأغلب المؤسّسات والشركات، حتّى الإدارات تستعمل اللّغة الأجنبية، وترى الأهل يتسابقون لتعليم أبنائهم اللّغات الأجنبية وإعطائها الأهميّة العظمى على حساب العربية، وهنا تتكوّن لدى المتعلّم أن لا قيمة للعربية فما الفائدة من تعلّمها وتجده مجبرا -بضغط من الأسرة وبضغط من المجتمع- على إهمالها، وتسمع عبارات يندى لها الجبين بصيغة التّفاخر والتّبجّح: "أنا لا أعرف العربية!!"، وترى الأهل لا مانع لديهم! بل هم سبب تكوين فكرة خاطئة عن مبدأ القيمة للّغة العربية، وغرسوا في أبنائهم حبّ اللّغات الأجنبية، على الرّغم من أنّه لا مانع من تعلّم اللّغات الأجنبية والانفتاح على العالم، لكن ليس على حساب اللّغة الوطنية، بل يجب مراعاة التّرتيب فيصبح المتعلّم إذا حصّل رصيда معيّنا من ألفاظ أجنبية يحاول استعمالها، والكلام بها وإلزام نفسه إلزاما حتّى في المنزل، ويلاقي هذا المتعلّم الذي هو في طور تكوين شخصيته قبولا وتشجيعا من طرف أسرته ومجتمعه لا يجده لو تكلم الفصحى! بل قد يلاقي نظرة الاستغراب والتّعجب! افترسخ لديه فكرة القيمة لكل ما هو أجنبي، فيبدأ بتقليد لغتهم ثمّ طريقتهم في الكلام، وفي أمور أخرى... قد تصل به إلى درجة الإنكار، والنّظرة الدّونية للعربية ومحاولة الانسلاخ منها، وعليه بطريقة مباشرة وغير مباشرة تترجّح كفة القيمة لصالح اللّغات الأجنبية، وبطريقة ظالمة مجحفة مهينة للعربية، ولو أننا في الواقع نلاحظ أنّ الأغلبية

1- بحوث ومقالات في اللغة، رمضان عبد التّواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1995، ص 170.

السّاحقة تعاني تعوّفا لغويا؛ فلسانهم ليس بالعربي، ولا حتّى بالأجنبي، وأصبح كلامهم مزيجا من كلمات أجنبية وعربية وعامية، حتّى أنّهم لا يستطيعون تكوين جملة مفيدة صحيحة سالمة بلغة واحدة واضحة.

فإهمال مبدأ القيمة جعل المتعلّمين لا يدركون الطّريق الأصوب الذي ينبغي عليهم سلوكه، واختلطت عليهم الأمور، ومع تقصير الموجهين خاصة الأسرة، أصبح هذا المتعلّم ضحية أفكار مسمومة بُنيت فيه، وترسّخت لديه مع مرور الزمن، وأصبحت العربية تُنحر مرارا تكرارا على يد أهلها.

■ أما الالتزام :فهو بدوره لا يقلّ أهميّة عن دور القيمة، يقول أحمد عمر مختار: إنّهُ من الممكن قبول القول بأنّ الصّبغ العامية واللّهجية، وغير النموذجية كلّها صبغ حية ومستعملة...ومع هذا فإنّه يجب أن يظّل واضحا أنّ بقاء مثل هذه الصّبغ اللّهجية غير النّموجية من الكلام يؤدّي إلى تعطيل تيّار التفاهم، الذي يعدّ قبل كلّ شيء الهدف الأساسي للغة، وإنّ الالتزام اللّغوي لا يختلف عن أيّ نوع آخر من أنواع الالتزام الاجتماعي"¹.

■ فلو تعوّد المتعلّم من بداية احتكاكه بالمدرسة -بمساهمة وتشجيع الجميع -على الالتزام باللّغة العربية سواء في حديثه مع زملائه، أو إجاباته عن الأسئلة في القسم وحتّى داخل أسرته، ويلاقي ذلك القبول والتشجيع لتكوّن لديه الملكة، وكذا التزام المعلّمين والأساتذة سواء أساتذة اللّغة العربية، أو أساتذة المواد الأخرى بالشرح بالعربية الفصحى، وإلزام التلاميذ أثناء إجابتهم بالتقيّد بها، وعدم قبول الدّارجة في الأقسام والصّرامة في ذلك حتّى لا يتهاون التلاميذ في تعلّمها، ويبدلون جهدا في سبيل

1-أسس علم اللغة، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ط8، 1998، ص 213.

تحسين مستواهم اللغوي، ومع الوقت تترسخ هذه الفكرة وينتج عنها جيل ملتزم لغويا.

لكن ما نجده في الواقع أنّ بعض المعلمين أنفسهم غير ملتزمين همّهم إيصال الفكرة، ولا تهتمّهم اللغة هذا الأمر أشبه بالعدوى التي تنتقل، فيصبح ذلك القدوة مثالا يحتذى به.

■ أمّا القدوة فلها عدّة مظاهر ولنبدأ بوسائل الإعلام السّمعية البصرية، ونحن نعلم قيمة السّماع، ودوره الفعال في اكتساب اللغة عن طريق محاكاة ما يسمعه المتلقّي، "وقد ألحّ علماؤنا على أهميّة المشافهة والسّماع وأنّ اللغة أصوات مسموعة قبل أن تكون مكتوبة" ¹، و"الانسان يسمع، فتنتطبع في ذهنه آثار ما سمع، ويستطيع بعدُ التّوليد من هذا المخزون، فيخرج وفقا لهذا المخزون، إن كان المخزون فصيحاً كان المولّد كذلك، وإن كان عامياً، جاء المنطوق على مثاله...فالطفل يسمع ويلاحظ ويخزّن، ثمّ يحاول بنفسه، ولكّنه في كل الحالات بحاجة إلى وسط لغوي يأخذ منه ويسير على دربه، ومن ثمّ كانت القدوة أهمّ عامل من عوامل صنع اللغة واكتسابها فكيفما يكن المسموع يكن الإنتاج؛ أي المحصول اللّغوي للطفل وغيره" ²

فهل تساءلنا يوماً عن طبيعة الغذاء اللّغوي المسموع الذي نزود به أطفالنا حتّى أنفسنا؟ وهل ما نشاهده وما نسمعه يخدم اللغة العربية الفصحى، ويساهم في تنمية وإثراء الرصيد اللّغوي والمعرفي؟ كلاًّ فجلاً ما يعرض تطغى عليه العامية والكلمات المبتذلة، خاصة المساحات الإشهارية التي شوّهت اللغة العربية تشويهاً

1-بحوث ودراسات في علوم اللسان، عبد الرّحمن الحاج صالح، موفم للنّشر، الجزائر، 2007، ص 186.

2-اللغة العربية بين الوهم وسوء الفهم، لكمال بشردار غريب، مصر، دط، 1999، ص 10، 11.

قضى على رونقها وجمالها وأنقص من هيبتها فبعص الألفات الإشهارية مكتوبة بالدارجة بأحرف أجنبية، أو حتى بأحرف عربية وبأخطاء فادحة في كتابتها لا تراعي الذوق السليم، بل حتى الضاد تكتب أحيانا دالا حسب النطق المحلي، ولافتات أخرى مكتوبة بأحرف عربية وتعبير أجنبي، في مشهد يوحي بالتعمد لطمس اللغة العربية وتهميشها ودون رادع، هذه المشاهد تتركز على مرأى الأطفال والكبار وتعطي انطباعا في أذهانهم ويتأثرون بها، ويميلون إليها بحكم عناوينها الجذابة، وتصبح نماذج مألوفة منطبعة في الأذهان، وهذا التكرار وعدم محاربتها يكسبها نوعا من الشرعية والمصداقية، ويدفع النشء لتقليدها والسير على منوالها .

ومع تعدد الوسائط الإعلامية، وتطور الوسائل المتاحة للتواصل إذ" عن طريق هذه الأجهزة والأدوات يتخاطب الناس والأفراد والجماعات، ويتبادلون الآراء والخبرات، وينقل بعضهم إلى بعضهم الآخر المعارف والأفكار"¹، واللغة المستعملة عبر وسائل التواصل الاجتماعي هي العامية، أو اللهجة المحلية، حتى رسم الحروف العربية عوض بالحروف اللاتينية نظرا لكون هذه البرامج في بداية ظهورها لم تكن تتيح الكتابة بالحروف العربية، فأوجدوا طريقة تعوض هذا النقص وتسهل التواصل، فكتبوا مرادهم بأحرف لاتينية ومعنى عربي، ثم انتشرت هذه الطريقة، وأصبحت واسعة التداول رغم إضافة الأحرف العربية لهذه البرامج!!

وانتشار العامية ومزاحمتها للفصحى لم تكن من العدم فقد كانت هناك "نزعات منحرفة" كما يسميها محمد المبارك دعت لتشجيع استعمال العامية، وقد نبه إلى المخاطر الناجمة عن ذلك إذ يقول:"والدعوة إلى العامية هي بطبيعة الحال دعوة إلى الإقليمية، فليس ثمة لغة عامية واحدة بل لهجات، أو لغات، فعامية مصر والشام

1 -دراسات في التربية الإعلامية لسعد الدين ، محمد منير، المكتبة المصرية ، بيروت، ط1، دت-

والعراق والمغرب والجزيرة يختلف عن بعض اختلافا قليلا أو كثيرا، وقبول العامية من حيث المبدأ قبول لتعدد اللغات في الأقطار العربية...ولهذا السبب بالذات كان دعاة العامية في كل بلد هم دعاة الإقليمية من الوجهة السياسية الذين يريدون استبعاد الوحدة العربية" ¹...، ثم تحدّث عن مظهر آخر من مظاهر التّزعة المنحرفة، وهو "الدّعوة إلى إغراق اللّغة العربية في سيل من الألفاظ الأجنبية دون قيد أو شرط سواء أكنّا نستطيع أن نجد لها لفظا يقابلها جديدا، أو قديما أم لم نستطع، ودون أن نراعي أوزان العربية، وحروفها وأصواتها...إنّ الدّافع إلى مثل هذه الدّعوة دافع شعوبي أحيانا تكمن وراءه الرّغبة في القضاء على خصائص العرب اللّغوية وتراثهم اللّغوي الذي يميّزون به ويعتّزون...ومن مظاهر هذه التّزعة الدّعوة إلى استعمال الحروف اللاتينية في الكتابة العربية" ²...

هذه الأسباب وأخرى جعلت هذا الطّالب المتخصّص في اللّغة في حكم المغلوب على أمره لكون البيئة الّتي عاش في وسطها ساهمت بامتياز في التّأثير على مستواه اللّغوي، دون إغفال نقطة مهمّة وهي إسناد مهمة التدريس في المرحلة الابتدائية - الّتي تعتبر اللّبنة الأساسيّة في بناء أسس سليمة، أو معوّقة لدى الطفل- إلى:

- معلّمين تخرّجوا من تخصّصات أخرى، وتلقوا تكوينهم في مرحلة التّدريج باللّغة الأجنبية، ولم يدرسوا اللّغة العربيّة خلال هذه المرحلة ولو كمقياس يمنع حدوث القطيعة التّامة مع اللّغة، ومع ذلك يسمح لهم بالتّدريس في الطّور الابتدائي!

- أو لمعلّمين تخرّجوا من تخصّصات تُدرّس باللّغة العربيّة لكنّهم وجدوا تساهلا مع لغتهم وغضّا للنّظر من طرف الأساتذة عن الأخطاء المختلفة الّتي يقعون

1.ص 238 المبارك، دار الفكر، ط2، 1964 فقه اللغة وخصائص العربية، لمحمد -

2.المرجع نفسه، ص 239، 240 -

فيها، وكأن السّلامة اللّغوية مقصورة على أصحاب التّخصّص !! ولم يكلفوا أنفسهم
عناء تصحيح أخطائهم، نظرا لعدم وجود الصّرامة الّتي تدفعهم لمحاولة تجنّب
الأخطاء فيتخرّجون وأخطاؤهم تلازمهم فما الّذي ننتظره منهم؟؟

- أو لمعلمين تخرّجوا من تخصّص اللّغة والأدب، لكنّهم درسوا التّخصّص
دون رغبة بل وُجّهوا لهذا التّخصّص باعتباره لا يشترط معدّلا معيّنًا لولوجه، فيوجّه
له كلّ من لم يسعفه المعدّل في افتكاك مقعد في التّخصصات الأخرى، ولو كان من
شعبة علمية أو تقنية، ودون رغبة منه في هذا التّخصّص، فيدرسه على مضض وهو
كاره له بل ويستحي من ذكر تخصّصه، فكيف سيكون مردوده وهو لا رغبة لديه ولا
استعداد؟؟

ومن هنا يمكننا تخيل حجم الكارثة الّتي ساهم الجميع في صنعها، والدائرة
التعليمية المغلقة مستمرّة في الدّوران على هذا النّحو .

2- اللغة العربية بين المعرفة النظرية والأداء لدى المتخصّصين

نصادف في حياتنا أشخاصا لديهم أفكارا ومعرفة لا بأس بها إذا ما قرأنا كتاباتهم،
لكن إذا تكلمنا معهم وجها لوجه نجد تعسّرا في ترجمة أفكارهم إلى كلام منطوق،
وتظهر الفجوة بين ما يملكونه من رصيد معرفي وبين قدرتهم على التّعبير عنه، هذه
المشكلة كثيرا ما تؤدّي إلى انعزال هذا الشّخص وانطوائه على نفسه؛ إذ يفضّل
إيصال كلمته عبر الكتابة، لكنّ الكتابة لا تغني من العملية التواصلية -باعتبارها
الوظيفة الأساسيّة للغة- شيئا، يقول كمال بشر "واللّغة المكتوبة ليست لغة بالمعنى
الاصطلاحي الدّقيق، إنّها مجرد تصوير للّغة المنطوقة؛ اللّغة الطّبيعية الّتي يجهد
النّاس في درسها ورعايتها والحفاظ عليها، حفاظا على قوميتهم وهويّتهم، واللّغة

المنطوقة في مجتمعنا العربي بالذات هي الأولى بالنظر والحوار حتى نصل بها إلى درجة مقبولة من الخاصّة والعامة؛ فنحن قوم نسمع ولا نقرأ¹.

هذه الفجوة الظاهرة تتطلب العديد من الأبحاث المختصة من طرف باحثين متعدّدي التخصصات؛ كعلم الاجتماع وعلم النفس التربوي؛ وحتى الأطباء؛ من أجل الوقوف على أسبابها وخفايا المعضلة ومن ثمّ إيجاد العلاج المناسب ، إذ لا يمكن أن يكون السبب وليد اللحظة بل نتيجة ترسّبات عديدة، أدّت بالمتخصّصين إلى الوصول إلى هذه المرحلة، يقول عبد الرحمن الحاج صالح : " نذكر على سبيل المثال الفائدة العظيمة التي يستمدّها اللّساني من مشاركته للأطباء الذين يعالجون أمراض الكلام، وذلك عندما يقومون بالبحث معا عن العلاقات القائمة بين بُنى اللّسان والاضطرابات التي تعترى هذه البنى عند المصابين بأفات التّعبير"² ويقول آخر: "أما علاقة الدّماغ باللّغة والنّطق فيشترك في دراستها اللّغوي وعالم النفس والطبيب المختصّ بالجهاز العصبي، وذلك في محاولة لتفسير تلك العلاقة والاستفادة منها في علاج بعض الاضطرابات والأمراض اللّغوية من ناحية، وفي الاهتداء إلى أسرار بعض أوجه اللّغة من ناحية أخرى"³.

إنّ ظاهرة اللّغة معقّدة جدا، وقد اهتمّ بها العلماء على مرّ الزّمن، وأعطوها مكانة خاصة في أبحاثهم وبين ثنايا كتبهم، وكلما زاد التطّور العلمي زاد اليقين بأنّ اللّغة كظاهرة تحتاج لفهمها اجتماع العديد من التّخصّصات، كلّ يبيدي رأيه من وجهة نظره التي توصّل إليها من أبحاثه العلمية، ولكون اللّغة من منظور لساني تحوي جانبيين مهمّين متّصلين أشدّ الاتّصال لا غنى لأحدهما عن الآخر وهما جانب

1- اللّغة العربية بين الوهم وسوء الفهم، لكمال بشر، ص 76.

2. الرّحمن الحاج صالح، ص 180 بحوث ودراسات في علوم اللسان، عبد -

3 -أضواء على الدّراسات اللغوية المعاصرة، نايف خرما، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، دط، 1978، ص 74 .

المعرفة، وجانب الأداء، أو كما يسمّيهما تشومسكي ثنائية الكفاءة والأداء ويقصد "بالكفاءة: ما يكون عند المتكلم باللغة -من أبنائها- من معرفة حدسية غير واعية، بالأصوات والمعاني والنحو.

أما الأداء: فهو عبارة عن الممارسة اللغوية الفعلية في الحياة اليومية، وربما لا تكون صورة صحيحة للكفاءة، لمخالفتها- في بعض الحالات- القواعد النحوية"¹.

يتّضح من الجانب النظري أن الانسان لديه مجموعة من المعارف مخزّنة في دماغه، وعندما تعترضه مواقف ما تستدعي منه توظيف تلك المعارف يحتاج إلى أداة لإيصالها؛ فإن كانت العلاقة بين المعرفة والأداء سليمة استطاع إيصال أفكاره بكل سهولة، أمّا إن وجد خلل ما، فإنّه لا يستطيع أن يترجم أفكاره إلى أقوال، وفي هذه الحالة يخرج البحث من نطاق البحث اللساني إلى البحث النفسي والاجتماعي، وقد تحدّث محمود فهمي حجازي عن هذه الظاهرة مفسراً قول الجاحظ): "ويقال في لسانه حُبْسَة إذا كان الكلام يثقل عليه ولم يبلغ حدّ الفأفاء والتّمّتام.... وإذا قالوا في لسانه حكمة فإنما يذهبون إلى نقصان آلة المنطق(. ويعني الجاحظ بكل من الحبسة والحكمة عيبين من عيوب النطق على المستوى الفردي، وينبغي أن نذكر أن كليهما مرتبط بالظروف الخاصة للفرد ويخرج عن نطاق البحث في اللغة كنظام إلى البحث في اللغة كظاهرة نفسية؛ أي أنّ دراسة اللّكنة والحبسة ليست من البحث في علم اللغة بل هما من علم النفس اللّغوي وعلم الأصوات العلاجي؛ فعلم اللغة يُعني باللغة كظاهرة اجتماعية، ولا يهتم بالاختلافات الفردية إلّا إذا أصبحت سارية المفعول في المجتمع، ومعنى الحبسة عند الجاحظ عدم السلاسة في النطق،

1-المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة،

ط3، 1997م، ص 191 .

ومعنى الحكلة عدم اكتمال العادات الصوتية، وعدم قدرة الجهاز الصوتي أو كما يقول الجاحظ) نقصان آلة المنطق (عن النطق الواضح المبين.¹

وعليه إن أردنا نحن تقليص هذه الفجوة بين المعرفة والأداء، فلا بد من استحداث مخبر يلمّ شمل كلّ التّخصصات التي من الممكن أن تمسّ جانباً من جوانب اللغة من أجل تشخيص أسباب الفجوة بدقة ومن ثمّ إيجاد العلاج المناسب.

3- بعض الحلول المقترحة

بعد ملاحظة جملة الأسباب والعوائق والمؤثرات المختلفة، التي لم تكن نتيجة للمنظومة التربوية وحدها بل نتيجة عدّة عوامل أدّت إلى ضعف اللغة عموماً، واتّضحت أنّها لم تكن وليدة اللحظة في الجامعات؛ بل كانت نتيجة ارهاصات سابقة جعلت من هذا الطّالب الجامعي المتخصّص في اللغة والأدب العربي ضحية قبل أن يكون متهماً، وعلى هذا سنقترح بعض الحلول التي تمسّ مرحلة ما قبل الالتحاق الجامعة، باعتبار هذه الأخيرة مهمتها شحذ وصقل وتوجيه هذا الطالب ليستلم زمام الأمور؛ لكونه انتقل إلى مرحلة تفرض عليه الاعتماد على نفسه في تكوين وإثراء معارفه ومن جملة هذه الاقتراحات نذكر :

- الحرص أثناء إعداد البرامج والكتب المدرسية على تقديم جرعات مناسبة تراعي سن المتعلّم، وقدرته على الاستيعاب بكيفية مدروسة بناء على تجارب ميدانية، وكذا الاستفادة من خبرات المدرّسين ومراعاة ملاحظاتهم .

- الاستفادة من الوسائل التكنولوجية الحديثة لتعليم اللغة العربية لإضفاء الحيوية على الدّرس اللّغوي، وتجنّب الأساليب التّمطية المملّة، مع التركيز على نماذج سماعية باللّغة العربية الفصحى، وتنويع النّماذج المعروضة لتشمل جميع الدروس

1. دار غريب، دط، دت، ص250 علم اللغة العربية، محمود فهمي حجازي، -

الموجودة في البرنامج، وتكرار ذلك على مسامع المتعلمين في مختلف المراحل التعليمية حتى تتكون لديهم ملكة اللغة، مع الحرص على اتاحة الفرصة للمتلقين بالتناوب إبداء آرائهم وملاحظاتهم وطرح الأسئلة حول النموذج المعروض .

- عدم اهمال الحصّة المخصّصة للقراءة والمطالعة، وجعلها حصّة ثرية لقراءة الكتب ومناقشتها؛ لإثراء المتعلمين لغويا مع السّعي لتدريبهم، وتعويدهم على القراءة الصّحيحة السّليمة بصوت مسموع، وتشجيعهم على الانتباه أثناء القراءة، وتسجيل أخطاء زملائهم، وبعد انتهاء القراءة تناقش هذه الأخطاء بطريقة بناءة، وتصحّح مع التّعليل والاستشهاد بدرس قواعد اللّغة.

- إعطاء أهميّة كبيرة لحصّة التعبير الشّفوي والكتابي؛ فمن خلال الأوّل يتمكّن المدرّس من اكتشاف الخلل الموجود في القدرة التعبيرية لدى التّلاميذ، وكذا مدى استعدادهم واقبالهم على المحادثة بلغة سليمة، أو العكس مع الحرص على عدم قبول العامية في الإجابات، ومن خلال الثّاني (التّعبير الكتابي) يستطيع الوقوف على جملة الأخطاء التّحوية والإملائية والصّرفية والتّعبيرية الّتي لابد من إصلاحها في حينها والتّنبية عليها، وذلك بعرض نموذج على السّبورة دون ذكر اسم المتعلّم تجنبا للإحراج، ثم يتمّ استخراج الأخطاء وتصنيفها ثمّ تصحيحها.

*إن أهميّة حصص التعبير الكتابي والشفوي وحصص القراءة إنّما تكمن في تعزيز التّوازن بين ما يكتسبه المتعلّم من معارف من خلال مطالعة الكتب القيّمة، وبين القدرة على توظيف تلك المعارف، والتّعبير عنها بسلاسة ووضوح، وبالتالي تقليص الفجوة الحاصلة بين المعرفة النّظرية والأداء، وينتقل هذا المتعلّم إلى الجامعة وهو في أتمّ الاستعداد لهذه المرحلة من التّكوين المتخصّص وفي جعبته رصيد معرفي، وكيفيات أدائية تسمح له بتطوير قدراته وشحذها، وتمضي به في سبيل الرّقي العلمي والإبداع والإنتاج الفكري النّافع .

وهناك حلول أخرى لا تخصّ المنظومة التربوية بقدر ما هي منتشرة بيننا وتزداد رواجاً حتى أصبحت ظاهرة اجتماعية لا بد من محاربتها دون كلل، عن طريق الرقابة القبلية والبعدية من طرف السلطات المختصة ومن بينها :

- مراقبة اللافتات الإشهارية المعروضة في واجهة الشركات والمحلات والطرق، المكتوبة بطريقة لا تمتّ بصلة للغة الوطنية، ولا حتى للغة الأجنبية، وتساهم في غرس عادات لغوية مشوهة، فلا بد من محاربة هذا الفيروس المعدي المتفشّي في المجتمع عن طريق فرض قوانين تمنع هذا النوع من الإشهار، وكذا الإعلانات العشوائية، وإرسال فرق الرقابة بصفة دورية مع فرض غرامات على المخالفين.

- إلزام وسائل الإعلام المختلفة من إذاعة وتلفزيون على التقيد باللغة العربية الفصحى؛ لدورها الفعال في التأثير على المتلقين، وتكوين عادات لغوية سليمة وتجنّب الأخطاء الشائعة عن طريق المراقبة القبلية لما سيعرض من طرف مختصين في اللغة، وخاصة البرامج المخصصة للأطفال، وحتى الأفلام المترجمة يراعى فيها انتقاء ما ترجم بالعربية وليس باللهجات المحلية، ويقع على عاتق أولياء الأمور باعتبارهم المرشد الأول- مسؤولية اختيار ما يشاهده أبنائهم ممّا يعود عليهم بالمنفعة، وليس لإلهائهم من أجل التخلّص من ضجيجهم .

- اتخاذ قرارات سياسية شجاعة تعمّم استعمال اللغة العربية في جميع المراسلات والمحركات الإدارية مع الحرص والصرامة في تطبيقها على أرض الواقع، وعدم تجاوزها، أو تفضيل أيّ لغة أجنبية عليها.

- إلزام وإلزام دور النشر بنشر الكتب التي تحرّر باللغة العربية الفصحى توطيداً للالتزام والانضباط، وتقليصاً لانتشار العامية، وحفاظاً على حرمة الكتاب وقيّمته، وتشجيعاً لهيمنة الجودة والنوعية على حساب الكمية، وعدم قبول المؤلفات المكتوبة بالعامية، فما لاحظناه هو الرّواج الكبير لمثل هذه الكتب المكتوبة بلغة عامية سمجة، ومبهجة بتجليد يجذب أنظار الزبائن، فلا بدّ من تقليص

ومحاربة هذا النوع من التجارة المشينة التي لا يكلف أهلها أنفسهم عناء ضبط عباراتها، وتصحيح أخطائها بل وجدوا في العامة سهولة وملجأ يبيع لهم حرية الكتابة دون قيد أو شرط .

- إعادة الاعتبار للغة العربية باعتبارها أساس الهوية الوطنية وكذا أساس الوحدة القومية على امتداد الأقطار العربية عن طريق توحيد المصطلح العربي والابتعاد عن التزعة اللهجية المحلية باعتبارها تشجع الاقليمية وتفتت الوحدة العربية .

- تكاتف الجهود بين الدول العربية في سبيل صيانة هذه اللغة وإعادتها إلى الواجهة، وإعطائها المكانة التي تستحقها، وقد أفرد علي عبد الواحد وافي فصلا كاملا في كتابه "فقه اللغة" سمّاه "صيانة اللغة العربية" وذكر أنّ الفضل في صيانتها يرجع إلى عوامل أربعة لا غنى عنها أولها: الرسم العربي، وثانيها ضبط قواعدها، وثالثها وضع معجماتها، ورابعها إنشاء المجامع اللغوية¹، ثمّ تحدّث بالتفصيل عن كلّ عامل من هذه العوامل مبرزاً دوره وأهميته في الحفاظ على اللغة العربية، وكذا جملة المخاطر التي تنجرّ عن إهمال أحدها.

ولا يسعنا في الأخير إلا أن نختم هذا المقال بقول أحد الغيورين على اللغة العربية وهو كمال بشر الذي لخص قيمة اللغة وأهميتها، ودورها الفعّال في رقيّ المجتمعات بقوله: "إن الجانب اللغوي جانب أساسي من جوانب حياتنا، واللغة مقوم من أهم مقومات حياتنا وكياننا، وهي الحاملة لثقافتنا ورسالتنا، والرباط الموحد بيننا، والمكوّن لبنية تفكيرنا، والصّلة بين أجيالنا، والصّلة كذلك بيننا وبين كثير من الأمم، تلك هي الأسباب التي تجعلنا نغني باللغة عناية كبرى ونحلّها في الصّميم من قضايانا الحيوية"²

1 نهضة مصر، ط3، 2004م، ص 190 فقه اللغة لعلي عبد الواحد وافي، شركة -

2- فقه اللغة وخصائص العربية، محمد المبارك ص 232..233